الأبواب الدفاعية فى القاهرة والمهدية فى العصر الفاطمى

د. أحمد أمين جمعة الشربتلى*

مقـــدمـــــة

يرجع نسب الفاطميين إلى الفرع العلوى الذى ينتمى إلى " على بن أبى طالب" رضى الله عنه ، وقد أكد ياقوت الحموى فى كتابه "معجم البلـدان" أن نـسب الدولـة الفاطمية يرجع إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله "صلى الله عليه وسـلم" ووسـمها بالدولة العبيدية نسبة إلى عبيد الله المهدى *[1]، واتخذ زعيم الفاطميين" عبيد الله المهدى " لقب أمير المؤمنين وجعل عاصمته مدينة القيروان فى عـام ٢٩٧ هـ - ٨٨٤م ، ولكنه فكربعد فترة فى ترك القيروان عاصمة الأغالبة وشيد لنفسه عاصمة جديدة فـى عام ٣٠٣ هـ - ٨٩٠ م عرفت باسم المهدية[2].

وعندما ولى "المعز لدين الله" رابع خلفائهم عرش الخلافة فى عام ٣٤١هـ - ٩٥٣م تمكن من توسيع رقعة دولتهم فى شما أفؤيقيا فانتدت من تونس إلـى المحـيط الأطلسى . وكان "المعز" يطمع فى حكم مصر منهزا فرصة الإضطرابات التى حدثت فى أواخر عهد الأخشيديين وأرسل جيشا بقيادة "جوهر الصقلى" لفتح مصر ، فنجح فى ذلك بعد أن وصل الفسطاط فى عام ٣٥٨هـ - ٩٦٩م[3].

---

* رئيس قسم الهندسة المعمارية بأكاديمية الدلتا

* يذكرابن خلدون فى العبر ج ٣ ، ص ٣٦٠ " أن شيعتهم يزعمون أن النبى محمد صلى الله عليـه وسلم أوصى على رضى الله عنه بالخلافة بالنصوص الجليلة وعدل عنها الصحابة إلى غيرهم فوجب البراءة ممن عدل عنهم ثم أوصى على إلى إبنه الحسن ثم الحسن إلى أخيه الحسين ثم الحسين إلـى اينهزين العابدين ثم زين العابدين إلى إبنه محمد الباقر ثم محمد الباقر إلى إبنه جعفر الـصادق ثـم جعفر الصادق إلى إبنه إسماعيل الإمام ثم إسماعيل الإمام إلى إبنه محمد ويسمونه المكتوم لأنهم كانوا يكتمون إسمه حذرا عليه ثم أوصى محمد المكتوم إلى إبنه جعفر المصدق وجعفر المصدق إلى إبنـه محمد الحبيب ومحمد الحبيب إلى ابنه عبيد الله المهدى الذى دعا له أبو عبد الله الشيعى .
ويطعن بعض المؤرخين فى نسب الفاطميين إلى ميمون بن ديصان القداح الثنوى المـذهب القائـل بوجود إلهين إله النوروإله الظلمة .
ولكن يبدو أن نسبهم إلى فاطمة الزهراء صحيح (أنظر حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، ط٣ ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤م ، ص ٥٧ - ٧٩

[1] ياقوت الحموى، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ج ٥ ، ص ٢٣.

[2] نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية ، ط ٥ ، دار المعارف ، بدون سنة طبع ، ص ١٠٧.

[3] المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

ولما نجح الفاطميين فى غزو مصر نقلوا مركزحكمهم من المهدية إلى عاصمة جديدة أسسها جوهر فى مصر أسماها القاهرة،وأصبحت عاصمة الخلافة الفاطمية ، كما شملت الخلافة الفاطمية بلاد المغرب والشام وبلاد اليمن وجزيرة صقلية، كما كانت الحجاز موالية لهم بعض الوقت .

وكان تولى الفاطميين الحكم بمصر وتأسيسهم خلافة مستقلة بها ، هو عودة إلى وضع جغرافى سياسى أنشأته الوقائع وثبتته أحداث التاريخ . فالعالم الإسلامى كان بحاجة دائما إلى مركز متوسط كانت تشغله الإسكندرية فى العصر الرومانى البيزنطى، ولاشك أن الفاطميين قد انتبهوا لذلك ، كما وجدوا مصر بكثرة مواردها وأرزاقها ومكانتها بالنسبة للعالم الإسلامى [4].

كما كان لفتح الفاطميين لمصر أثر كبير فى العالم الإسلامى بصفة عامة وفى تاريخ مصر السياسى بصفة خاصة ، وكان أو عمل قام به القائد جوهر بعد فتح مصر هو اختطاط مدينة جديدة، بناء على توجيهات الخليفة المعز، قصد بها أن تكون مدينة ملكية وعاصمة للإمبراطورية العالمية الشاملة التى تضم جميع الأراضى الإسلامية، هى مدينة "القاهرة" .

وقد اهتم الفاطميون بتحصين القاهرة، وكان أول هدف لهم من هذا التحصين هو أن تستطيع هذه المدينة مقاومة أى هجوم متوقع من القرامطة على الفاطميين بعد دخولهم مصر، وفى إطار هذا الإهتمام كان إنشاء جوهر للأسوار الأولى لمدينة القاهرة بأسوارها وبواباتها الحصينة .

وقد برزت الحاجة إلى تحصين المدن منذ عهد قديم، عندما نشأت المدن وزاد عمرانها وثراؤها، وبدأت تتعرض لهجمات الأعداء، الذين يطمعون فى السيطرة عليها أو نهب ثراؤها، مما أدى إلى بناء الأسوار حول المدن، واتخاذ الجند والقادة الذين يتولون الدفاع عنها[5].ومن هنا كان اتخاذ الأسوار حول المدينة أمرا مهما.

وفى بداية العصر الإسلامى برزت أهمية الموقع المحصن تحصينا طبيعيا جغرافيا فى الدفاع عن المدينة وحمايتها، فالمدينة المنورة محصنة تحصينا طبيعيا من جهاتها المختلفة فيما عدا الناحية الشمالية التى اضطر الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يحفر حولها الخندق عندما واجه خطر الهجوم عليها من هذا الإتجاه .

وقد تأثر تخطيط المدينة الإسلامية بإنشاء الأسوار تأثيرا مباشرا وخصوصا فيما يتعلق بمساحتها، وخلو كثير منها من المساحات الفضائية كالميادين المتسعة والحدائق الواسعة، وإنشاء بعض التكوينات المعمارية خارجها، ولا سيما تلك التى

---

[4] أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية فى مصر، تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، ط١٩٩٢١، ص ص٧٤-٧٥

[5] بتر فارب، بنو الإنسان، ترجمة زهير الكرمى-سلسلةعالم المعرفة، الكويت، م١٩٨٠، ص١٣٠.

تشغل مساحات كبيرة، كما أن لسور المدينة وأبوابها ارتباطا بشوارعها وضرورة بعد منازلها عنه لتوفير "الفيصل" اللازم للدفاع، ولذلك أثره أيضا فى الإرتفاع الرأسى لمساكنها، وضيق شوارعها، وامتداد المطلات عليها[٦].

ويقوم المحور الأساسى الذى يحكم بناء الحصون فى العصور القديمة أساسا على تنظيم العراقيل بين المهاجمين والمدافعين لمنع المهاجمين من المضى فى سبيلهم، ولوقاية المدافعين من شر مقذوفاتهم، وتمكين المدافعين فى الوقت نفسه من أن يمطروا المهاجمين وابلا من مقذوفاتهم، وبناء على ذلك أقيمت الحصون الأولى التى كانت أولى مراحلها إقامة سور من الردم بارتفاعات مختلفة حول الخندق،أو القناة التى كانت تستعمل الموارد الناتجة من حفرها فى إقامة الحصون، وكانت تعلو هذا كله "مستقيمات حجرية" للإختفاء حولها تسمى "المتاريس" وكانت متقاربة لتمكين المدافعين من الإختباء خلفها وإرسال سهامهم إلى المهاجمين[٧].

وكان لمداخل المدينة أبوابا صفحت مصاريعها بالحديد لمقاومة ضربات العدو إذا مااستطاع الوصول إليها، وهوأسلوب شاع استخدامه فى أبواب المدن الإسلامية، ومن أمثلة ذلك أبواب المهدية والقاهرة وغيرهما . وكان بين السور الخارجى والسور الداخلى الكبير مساحة خالية تصلح للدفاع عن السور الأخير، وهذه المساحة تسمى "الفيصل" ويمكن اصطياد العدو فيها إذا ما استطاع إجتياح السور الخارجى[٨].

وتكشف دراسة أسوار القاهرة الباقية عن تطور عمارة أسوار المدن وتحصينها سواء ناحية تزويد السور بخطين للدفاع فى وقت واحد بعمل خط دفاعى داخل السور بالإضافة إلى الخط الدفاعى أعلاه، أو بتطوير تصميم المزاغل،ودراسة حركة الإتصال بين الجند والقادة ومراعاة إجراءات التزويد والإمداد بصفة مستمرة للجند عن طريق عناصر الإتصال المختلفة واستخدام عناصر إنشائية قوية كالتغطية بالأقبية الطولية والمتقاطعة والقباب الضحلة، واستخدام الروابط الرخامية على ارتفاع معين من أساس السور لتمنع من انهيار السور فى حالة ثقبه من أسفله، وهو أسلوب إستخدم قبل ذلك فى المهدية[٩].

وقد ذكر المقريزى فى كتابه "الخطط" فى سمك أسوار القاهرة أن عرض جدار السور عدة أذرع يسع أن يمر به فارسان، كما أنه يوفر الحركةالسهلة للجند على سطحه كما أنه من وجهة النظر الإنشائية يساعد على الإرتفاع ببناء الأسوار إرتفاعا يحقق غاية الدفاع ويمنع من سهولة تسلقه، وقياسات السور التى أشار إليها المقريزى

---

[6] محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٨٨، ص ١٢٢.

[7] صديق شهاب الدين، تخطيط المدن وتاريخ الحصون، مجلة العمارة، م١٩٣٩.

[8] محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص ١٤٢.

[9] محمد عبد الستار عثمان، نفس المرجع السابق، ص م١٤٣٤

تمت فيما يبدو بنفس قياسات سور المهدية "بتونس" أو مقاربة لها[١٠]،حيث أن معايير الدفاع وأساليب القتال واحدة، باعتبار تقارب الفترة الزمنية بين إنشاء المهدية والقاهرة،والتى تبلغ بنحو خمسين عاما.

وكانت فكرة تعدد البوابات على التوالى فكرة مهمة فى التخطيط الدفاعى هدفها عرقلة العدو الذى ينجح فى اقتحام المدخل الخارجى، ويعتبر وجودها فى مدينة المهدية من الأمثلة البمكرة فى العمارة الإسلامية الحربية وهى فكرة طورت بصيغ أخرى فى العمارة الحربية المغربية والأندلسية فى الأبواب ذات المرافق،لكنها جمعت بين الإنكسارات المتعددة والأبواب المتعددة أيضا مع الصعود إلى أعلى .

واستمرت القاهرة حينا بعد قيامها ملكية عسكرية، فلم يكن لقاطنى مصر أن يدخلوها وهى مدينة ملكية إلا بعد أن يؤذن لهم، وكان مفوضوا الدول الأجنبية الذين يحضرون الحفلات الرسمية يترجلون عن جيادهم ويسيرون نحو القصر بين صفين من الجنود. ولكن سرعان ما اتسعت المدينة الناشئة ونمت نموا سريعا وتبوأت مكانتها المرموقة فى ظل الخلفاء الفاطميين، واتصلت مبانيها بمبانى مدينة الفسطاط، وصارتا تؤلفان أكبر المدن الإسلامية فى العصور الوسطى[١١] .

مدينة المهدية الفاطمية وأبوابها الدفاعية

تقع مدينة المهدية ويطلق عليها "المدينة ذات الهلالين" على الساحل الشرقى بوسط الجمهورية التونسية، وهى عبارة عن برزخ ممتد داخل البحر "شبه جزيرة" يحيط بها البحرمن ثلاث جهات، كما أنها ذات مناخ معتدل تؤثر فيها التيارات الهوائية للحوض المتوسط وتبعد عن العاصمة بنحو ٢٠٠ كم . والمهدية مدينة عريقة جذورها ضاربة على امتداد التاريخ، ولئن عرفت فترات تاريخية متعاقبة منذ القدم فإن الغموض يكتنف تاريخ هذه المدينة قبل العهد الفاطمى رغم الآثار التى وجدت فى البحث والحفريات الأثرية برا وبحرا والتى تدل على التواجد الفينيقى أو الرومانى[١٢] .

واكتست الحقبة التاريخية التى ميزت المدينة منذ تأسيس الفاطميين لها وجعلها عاصمة للخلافة الفاطمية سنة ٣٠٨هـ - ٩٢٠م وقد اتخذها الخليفة الأول عبيد الله المهدى عاصمة لموقعها الجغرافى المتميز، فهى تطل على البحر من ثلاث جهات

---

[١٠] المقريزى (أحمد بن على) الموعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون سنة طبع، ج ١، ص ٣٦١.

[١١] توفيق أحمد عبد الجواد، العمارة الإسلامية فكر وحضارة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م ، ص

[١٢] على عمر، مجلة دنيا العرب، تونس، عدد ٢٠٠٩/٣/٢٧م.

جعلت المدينة حصنا منيعا للتصدى للغزوات الخارجية وجعلها مركزا تجاريا هاما بالحوض المتوسط *

كما تعاقب على المدينة بعد خروج المعز لدين الله الفاطمى إلى الحكم فى مصر سنة ٣٦٠هـ - ٩٧٠م وتأسيس مدينة القاهرة حكم الصنهاجيين الذين تألبو فيما بعد على الفاطميين فانتقم الفاطميون منهم وأرسلوا إليهم القبائل الهلالية، وقد عرفت هذه الفترة بفترة الزحف الهلالى على البلاد التونسية، ومنذ ذلك التاريخ توالت الحملات ضد المدينة من الهلاليين والصليبيين والأسبان، تم تدمير المدينة من قبل الأسبان وفقدت بذلك المينة أهميتها العسكرية والتجارية خاصة فى العصرين الحسينى والتركى[١٣].

وقد آثر الخليفة عبيد الله المهدى بناء مدينة حصينة تقع على البحر بسبب الأحوال السياسية فى أفريقية، حيث أدرك أن مدينة رقادة بوقوعها فى وسط سهل فسيح مع قيام الثورات لا تصلح لأن تكون حاضرة وحصنا للفاطميين فى أفريقية فأخذ يرتاد الأماكن البحرية مثل تونس وقرطاجنة حتى استقر على مكان وصفه البكرى بقوله " والبحر أحاط بها من ثلاث جهاتها وإنما يدخل عليها من الجانب الغربى ولها ربض كبير يعرف بزويلة فيه الأسواق والحمام ومساكن أهلها (١٤)[١٤] . فكانت مدينة المهدية .

وقد شرع المهدى فى البناء فيها سنة ٣٠١هـ - ٩١٣م ، ثم انتقل إليها فى عام ٣٠٨هـ - ٩٢٠م ، وقد هدف من وراء تشييدها أن تكون حصنا حصينا له ومركزا لعملياته الحربية البرية والبحرية من جهة ونقطة انطلاق لفتح مصر أو الأندلس من جهة أخرى، يقول البكرى" وفى المهدية من المواجل العظام ثلاثمائة وستون غير ما يجرى إليها من القناة التى فيها، والماء الجارى بالمهدية جلبه المهدى من قرية منانش وهى على مقربة من المهدية فى أقداس ويصب فى صهريج داخل المهدية عند جامعها ، ويرفع من الصهريج إلى القصر بالدواليب، وهى مرفأ لسفن الإسكندرية والشام وصقلية والأندلس وغيرها[١٥] .

---

* يقول الدكتور زكى محمد حسن فى كتابه، كنوز الفاطميين : وكانت لهم فى المهدية عاصمتهم الأولى، قصور عفت آثارها، على أن الجنرال الفرنسى دى بلييه استطاع أن يكشف آثار بعض القصور فى قلعة بنى حماد، حاضرة الأسرة التى استقلت بحكم الجزائر بعد أن كان أمراؤها عمالا للفاطميين على تلك البلاد .

زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، دار الآثار العربية ، بدون سنة طبع ، ص ٨

13 نفس المصدر.

14 البكرى،(أبو عبد الله بن عبد العزيز) المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م ، ج ٢، ص٦٧٩.

15 نفس المصدر، ص ٦٧٨.

كما أن مرساها منقوش من حجر صلد يسع ثلاثين مركبا وعلى طرفى المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد، فإذا أريد إدخال سفينة فيه أرسل حراس البرجين أحد طرفى السلسلة حتى تدخل السفينة ، ثم مدوها كما كانت بعد ذلك تحصينا لئلا تطرقها مراكب الروم ، وعرض المدخل إلى المهدية من القبلة إلى الجوف قدر غلوة وردم عبيد الله من البحر مثل ذلك وأدخله فى المهدية فاتسع الموضع وفيه ستة عشر برجا ، ثمانية منها فى السور الأول وثمانية فى الزيادة [١٦].

وسكن عبيد الله المهدى ، أول خلفاء الفاطميين فى المغرب ، فى قصور أمراء الأغالبة السابقين بضاحية القيروان المعروفة بـ "رقادة" إعتبارا من ربيع الثانى ٢٩٧هـ - يناير ٩١٠م ، ولكنه لم يلبث أن شعر بالقلق من وجوده بين عامة أهل القيروان ممن كانوا ما بين عرب مالكية مناهضين للرفض والتشيع ، وبربر وافدين على العاصمة متربصين بالدولة سواء أغلبية سنية أو فاطمية شيعية ، ولم تأت سنة ٣٠٣هـ - ٩١٥م إلا وكان المهدى يختار موضعا بعيدا عن القيروان على الساحل الشرقى فى منطقة الربط البحرية مابين سوسة وصفاقص، ليبنى فيه عاصمة جديدة يمكن أن يأمن فيها على نفسه وأفراد أسرته . وبعد مضى خمس سنوات إنتهت أعمال البناء ، وأطلق على المدينة إسم "المهدية" تيمنا بلقب عبيد الله "المهدى" الذى انتقل إليها عام ٣٠٨هـ - ٩١٩م بأهله وجنده ، وهو يقول "الآن أمنت على الفاطميات" [١٧] .

وكانت العاصمة الجديدة رباطا حصينا بين ربط ساحل القيروان ، مثل رباطى سوسة والمنستير. ورباط سوسة كان عند قاعدة الأغالبة فى غزو صقلية ، ويوصف بأنه مستطيل الشكل مبنى من طابقين يتوسطه فناء ، ويحيط به سور مدعم بأبراج فى الزوايا وفى نهاية المحاور ، كما يضم حجرات وغرف خلوات للعباد المجاهدين وميضآت . والمصلى فى الطابق الأول وتعلو محرابه قبة . وعلى عكس مآذن المغرب المربعة الشكل وقتئذ كانت منارة رباط سوسة أسطوانية الشكل ، مما يعنى تأثر عمارتها بالطراز السلجوكى ، وكانت تستخدم لرفع الآذان وإرسال الإشارات الضوئية إلى الربط المجاورة [١٨] .

لقد ازدهرت المهدية ازدهارا كبيرا فراجت تجارتها وذاعت شهرة تحصيناتها، وازدادت أعداد الدور والقصور فيها ، كما اشتهرت بنظافتها وحسن حماماتها وفنادقها، ولكن عمران العاصمة الفاطمية الأولى لم يدم إلا حوالى ثلاثين عاما [١٩].

---

[16] نفس المصدر، نفس الصفحة.

[17] ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، تورنبرج، ج ٨، ص ص ٩٤-٩٥.

[18] كونل، الفن الإسلامى، ترجمة أحمد موسى، بيروت، ١٩٦٩ م ، ص ص٢٤-٥٠. وقارن ، جورج مارسيه ، مختصر العمارة الإسلامية، ج ١، ص ص ٤٧-٤٩.

[19] ابن حوقل،(أبو القاسم بن حوقل النصيبى) صورة الأرض، بيروت، ١٩٧٩م ، ص ص ٧٣-٧٤

وقد دلت التقنيات الأثرية الحديثة على أن أسوار مدينة المهدية الرئيسية كانت تلك التى تفصل المدينة البحرية عن البر ، وكانت بطول ١٧٥ مترا ، وبلغ ارتفاع السور حوالى ١٢ مترا ، كما بلغ سمكة حوالى ١٠ أمتار ، وكان على طرفيه برجان مستديران على قاعدة متعددة الأضلاع . أما الأسوار البحرية المحيطة بالمدينة فكانت أقل حصانة ،إذ بلغ سمكها مابين ١،٥ مترا و ٢،٧٥ مترا[٢٠] . يدل ذلك على أن المظاهر العسكرية فى بناء العاصمة الفاطمية لم تكن موجهة للعدو البحرى الخارجى بقدر ما كانت موجهة للفتن الداخلية المتوقعة من قبا البربر .

ويمكن القول أن المهدى إقتدى بحصون الساحل الأفريقى ، فكأنه أضاف إليها حصنا جديدا عندما بنى المهدية التى قامت بحصانتها وزينتها سائر المحارس ، وصارت الرباط الحصين فى ذلك الوقت . ويعتبر أول عمل معمارى ضخم بأفريقية هو إنشاء مدينة المهدية والذى قدمت عليه الدوله الفاطمية ، ويأتى إنشاء هذه المدينة فى إطار ظاهرة عامة سادت أغلب الدول الناشئة فى العصور القديمة والعصور الوسطى .

وكان لمدخل مدينة المهدية وسقفية الكحلة أبواب ذات تخطيط حربى مميز فى العمارة الحربية الإسلامية ، فإلى جانب حماية البوابة ببرج المدخل ، فإن بقية تخطيط الممر وأسلوب التنفيذ يلاحظ أنه كان يؤدى غرض الدفاع والحماية وفق تقدير صحيح يتوافق وأساليب الهجوم والدفاع فى العصور الوسطى وأدواتها وأسلحتها ، فقد صنعت الأبواب من الحديد حتى تقوى على خطر تعرضها للحريق ، وهو أسلوب كان يلجأ إليه المهاجمون لأبواب المدن فى العصور الوسطى ، والتى كانت تصنع من الخشب ، كما كان الحديد يقوى على ضربات المناجيق وكذلك آلات النقب إذا ما قورن بالخشب[٢١] .

وقد أورد التجانى فى رحلته عن مدينة المهدية ما نصة " وكان إبتداء بنائها لخمس خلت من ذى قعدة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وكان أول ما ابتنى فيها سورها الغربى الذى فيه أبوابها ، وأمر بعمل باب حديد للمدينة فجعل صفائح مصمتة ثم أثبت فيها المسامير ،وابتنى دار الصناعة وهى من عجائب الدنيا ، وأنزل المهدى جنده وخاصته فيها "[٢٢] .

وقد كان للفاطميين نشاط معمارى متميز فى عاصمتهم المهدية ، حيث شيدوا جامعا وقصورا ثم أحاطوها بسور شاهق من الحجر الأبيض والمزود بأبراج وبوابات عظيمة ، وتدل آثار هذه العمائر على الفن الفاطمى فى شمال أفريقية كان متأثرا

---

[20] محمد المرزوقى، المهدية، تونس، ١٩٨٠م، ص ص ٢٥-٢٧.

[21] محمد عبد الستار عثمان، موسوعة العمارة الفاطمية، دار القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٢٤.

[22] التجانى، رحلة التجانى، تونس، طرابلس ٧٠٨/٦٠٦هـ ، / ليبيا، تونس ١٩٨٢م، ص ص ٣٢٠-٣٢٢.

بالأسلوبين المغربى والأموى . ويشهد ما تركوه من عمائر دينية بما يحتويه من عناصر معمارية زخرفية على ما بلغته البلاد من إزدهار للفن فى عهدهم[٢٣] .

وما زالت المهدية تحتفظ بأنقاض تحصيناتها الفاطمية ، ومسجد وجامع أعيد بناؤه ،وبقيا قصر " القائم بأمر الله " ،ويتميز جامع المهدية بمدخل رئيسى بارز عن سمت جدار المؤخر على هيئة بوابة تذكرنا بأقواس النصر الرومانية ، وقد انتقل هذا الطراز إلى العمارة الفاطمية فى مصر[٢٤] .

أمر المهدى بعمارة مدينة أخرى إلى جانب المهدية وجعل بين المدينتين ميدانا فسيحا وأحاطها بسور وأبواب ، وسماها زويلة نسبة إلى إحدى قبائل بلاد المغرب ، وأصدر أوامره إلى أصحاب الدكاكين وأرباب الصناعات والتجارات أن يقيموا فيها بعائلاتهم ، وأمر أن تكون أموالهم بالمهدية[٢٥] .

ويحدثنا التجانى عن ربض زيلة التى شيدها الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى لعامة الناس بقوله " وابتنى لعامة الناس المدينة الأخرى المسماه بزويلة وهى إحدى المدينتين وبينهما قدر غلوة سهم وجعل الأسواق والفنادق فيها وأدار بها خنادق متسعة تجتمع بها مياه الأمطار ،فكانت كالربض لمدينة المهدية "[٢٦] ،وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن المهدية كانت بمثابة قلعة ومدينة للخاصة بينما شيدت زويلة كمدينة للعامة ، وذلك يذكرنا بالقاهرة المعزية التى شيدت كقلعة ومدينة للخاصة يسكنها الخليفة الفاطمى وجنده وخاصته بينما تركت مدينة الفسطاط كمدينة للعامة يسكنها عامة الناس كما كانت مدينة زويلة بالنسبة لأفريقية الفاطمية ،وتختلف مدينة الفسطاط عن مدينة زويلة فى أنها ليست من إنشاء الدولة الفاطمية ولكنها من إنشاء عمرو بن العاص فى عام ٢١هـ - ٦٤٢م أنشأها لتكون حاضرة لمصر الإسلامية ،وفى العصر الفاطمى وجد الفاطميون هذه المدينة عامرة فتركوها أيضا لعامة الناس وشيدوا حصنا لهم فيها وسميت القاهرة المعزية

يصف الدكتور حسن حسنى عبد الوهاب فى كتابه ، خلاصة تاريخ تونس يصف مدينة المهدية بأنها مدينة جليل قدرها ، شهير فى قواعد الإسلام ذكرها ، وهى من بناء عبيد الله المهدى أول الخلفاء العبيديين وإليه تنتسب ، وأول ما ابتنى فيها سورها الغربى الذى فيه أبوابها ، ثم أمر بحفرمرسى المدينة ، وكان حجرا صلدا ، فنقره نقرا وجعله حصنا لمراكبه الحربية ، وأقام على فم هذا المرسى سلسلة من حديد

---

[23] نعمت علام، المرجع السابق، ص ١٠٩.

[24] أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية، المرجع السابق، ٣٨٨

[25] القزوينى(الإمام زكريا محمد بن محمود) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، بدون سنة طبع،ص ١٥٨.

[26] التجانى، رحلة، المصدر السابق، ص ٣٢٤.

رفع أحد طرفيها عند دخول السفن ثم تعاد كما كانت ، تحصينا للمرسى من دخول مراكب الروم[٢٧] .

وقد بنى سورمدينة المهدية من حجر الدستور الصغير وهو نوع خاص تنحت كتله على هيئة متوازى مستطيلات بقياسات يحددها القائم على البناء ، وهذا البناء بهذه النوعية من الأحجار يساعد على سهولة البناء وقوة متانته ، هذه الأنواع من الحجارة استخدمت فى بعض منشآت الفاطميين وخاصة جامع الحاكم بأمر الله[٢٨] .

وأسوار المهدية مدعمة بستة عشر برجا[٢٩] ، وقد وصفه ابن حوقل فيقول " له بابان ليس لهما فيما رأيته من الأرض سبيه ولا نظير غير البابين اللذين على سور الرافقة "الرقة" وعلى مثالهما عملا ومن شكلهما اتخذا[٣٠] . وهذا يدل على براعة المعمار وقوته وفكرته التحصينية . كما وصف ياقوت الحموى سور مدينة المهدية وأبوابها الحديدية فذكر أن عبيد الله المهدى حصنها بالسور المحكم والأبواب الحديد المصمت ، وجعل فى كل مصراع من الأبواب مائة قنطار ولها بابان بأربعة مصاريع ، لكل باب منها دهليز يسع لخمسمائة فارس[٣١] .

واستخدام الحديد فى صنع أبواب المهدية استخداما أساسيا دون غيره من المواد كالخشب جعل هذه الأبواب ثقيلة الوزن ثقلا واضحا فقد ذكر البكرى وابن حوقل أن المصراع الواحد يزن ألف قنطار[٣٢]،وقد صنعت هذه الأبواب من ألواح من الحديد فى هيئة طبقات ثبت بعضها مع بعض بمسامير البرشام والذى يبلغ وزن المسمار الواحد ستة أرطال[٣٣] .

ووصف البكرى إلى أن إرتفاع البوابة الرئيسية بلغ حوالى ٦،٥٠ م ، وهذا الإرتفاع يعادل إرتفاع فارس راكبا فرسه ورافعا رمحه ويمر بسهولة أسفل بناء البوابة دون المساس بالخصوصية لارتفاع السور وهذا يتوافق مع التقليد الإسلامى .

أما البوابة الباقية فى السور الغربى كما وصفها مارسيه ، فيكتنفها برجان كل منهما على هيئة نصف مثمن بارتفاع ٢٠ مترا يحصرا بينهما ممرا مقببا طوله ٤٤ مترا ولا يوجد بهذا الممر أى فتحات للإضاءة فأصبح مظلما ، ولذا سمى " بسقيفة الكحلة " والذى يسمى أيضا باب الفتوح أو باب زويلة ، ويشغل هذا الممر فى كل

---

27 حسن حسنى عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠١م ، ص ٧٦.

28 حسين محمد صالح، أحمد حسين عمر، هندسة المبانى والإنشاءات، ط ١، مطبعة الإتحاد، القاهرة ١٩٣٨م، ص ١٠٣

29 . البكرى، المصدر السابق، ص٦٨٢

30 ابن حوقل، المصدر السابق ، ص ٩٣.

31 ياقوت الحموى، معجم البلدان، المصدر السابق، ص ٢٣.

32 البكرى، ص ٦٨٣، ابن حوقل ص ٧٣

33 التجانى، المرجع السابق، صص ٣٢٢ ومابعدها.

جانب على ست دخلات ويبلغ عرض الفتحة المحصورة بين البرجين ٣،٣٠ مترا ثم يلاحظ أنها تتسع فى المساحة الداخلية المحصورة بين البرجين بواسطة إرتدادين فى البرج الجنوبى ليصل ٤،٧٥ مترا ويستمر عرض الدهليز فى المسافة المحصورة بين الدخلات بنفس القياس ثم ينتهى ببروز فى الجانبين فى القطاع الأخير من الدهليز الذى يمثل الفتحة التى بصدر الدهليز والتى يبلغ إتساعها حوالى ثلاثة أمتار ، أما الدخلات الست فى كل جانب من جانبى الدهليز فهى متساوية الإتساع حيث يبلغ إتساع كل منها حوالى ٣،٥ مترا وعمقها متر واحد ،وتبدأ الدخلات على إرتفاع ٦٥ سم من مستوى أرض الدهليز وهذه الدخلات معقودة بعقود نصف دائرية أيضا[٣٤].

وفكرة إظلام الممر واعتماد الرؤية على الضوء الآتى من الفتحة الخارجية أسلوبا مهما من أساليب التخطيط الدفاعى حيث أن المهاجم لبوابة المدينة ودهليز مدخلها عند دخوله يجد نفسه فى "سقيفة الكحلة" المظلمة الرؤية ، بينما تتوفر الرؤية للجنود الرابضين على جانبى الممر.

القاهرة الفاطية وأبوابها الدفاعية

عندما أبلغ المعز لدين الله حالة مصر واضطرابها ، حشد بها جيشا لفتحها على رأسه قائده العظيم جوهر الصقلى . وأما أن علمت بقدومه عساكر مصر الأخشيد حتى هربت قبل وصوله ، فدخل مصر فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ - ٦ يوليو سنة ٩٦٩ م وأقيمت الدعوةللخليفة الفطمى . وفى الخامس من شهر رمضان سنة ٣٦٢ هـ - ٩٧٣ م وصل الخليفة المعز القاهرة ، ونزل هو وحاشيته بالقصر الذى أنشأه له جوهر ، فوجده كاملا مهيأ من فرش وسلاح وبيت مال وجميع ما يصلح لإستقبال الملوك ، وأصبحت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة[٣٥].وكان موقع القاهرة أرض فضاء يشغل جزءا منها بستان كافور ودير يسمى دير العظام وحصن قصر الشوك[٣٦].

وقد شيد جوهر مدينة القاهرة فى الجهة الشمالية من مدينة القطائع الطولونية وكان تصميمها على شكل مربع تقريبا ، وكان القصر الكبير الذى أنشأه للخليفة المعز يشمل حوالى ٧٠ فدانا ثم شيدبعد ذلك القصر الغربى الصغير ، وكان يفصلهما ميدان تقام به الإحتفالات[٣٧]. ولقد أحاط جوهر العاصمة الجديدة بسور من

---

[34] Marcais (Georges) Manuel Art Musulman, TunisEspagnee,Sicile. V.I Pie, Alge`rie, Maroc, aris 1926, p. 132 .

[35] توفيق أحمد عبد الجواد ، المرجع السابق، ص١٤٧

[36] عبد الرحمن محمود عبد التواب، دراسات وبحوث فى الآثار والحضارة الإسلامية ، ج ، القاهرة،١٩٨٣م، ص ٣٦.

[37] نعمت علام ، المرجع السابق، ص ١٠٩.

اللبن إندثر تماما[٣٨].وكان طول كل ضلع من أضلاعه حوالى ١٢٠٠ مترا[٣٩].أما عرض الجدار فكان يزيد قليلا عن مترين وكان بها ثمانى بوابات،بابان شمالا هما باب الفتوح وباب النصر،وبابان شرقا هما باب البرقية وباب القراطين ، وبابان غربا هما باب الفرج وباب السعادة ،وبابان جنوبا هما بابا زويلة ،وقد ضمت هذه الأسوار بداخلها[٤٠].(شكل رقم ١)

ومن الوضح أن القاهرة المعزية بنيت كمدية ملكية عسكرية فى ضوء بناء كل من المهدية والمنصورية . فهى ملكية من حيث أنها مدينة الخاصة من أفراد الأسرة المالكة التى لا تسمح بدخولها إلا لمن فى خدمتهم من الموظفين والعسكر والخدم والحشم، الأمر الذى تطلب وجود مدينة للعامة من أهل الأسواق ، تمثلت فى الفسطاط جنوبى القاهرة ،مثلما كانت زويلة فى مقابل المهدية ، والقيروان فى جوار المنصورية وهى عسكرية ذات أسوار وأبراج وبوابات ، وذلك أنها بنيت لتكون حائلا بين مدينة مصر"الفسطاط"وبين القرامطة فى الشام ومن بعدهم الصليبيين،لتكون فى نفس الوقت درعا واقيا للأسرة ضد خطر العامة من أهل الفسطاط مثلهم فى ذلك مثل عامة زويلة وعامة القيروان بالنسبة للمهدية والمنصورية[٤١].(شكل رقم٢)

وقد لاحظ جوهر صباح اليوم التالى من وصول جيشة للقاهرة إلى أن الأعمال الإنشائية تمت سريعة ليلة وصول الجيش الفاطمى فنتج عن تلك السرعة أن جدران السور والقصر جاءت غير معتدلة ، فلم تعجب جوهر ، ومع ذلك فقد تركها على حالها، واستمر فى تشييد البنيان حتى أكمله[٤٢]. وكان كل ضلع من أضلاعه يواجه إحدى الجهات الأصلية إلى حد كبير ، فكان الضلع الشرقى فى محاذاة جبل المقطم ، والضلع الغربى فى محاذاة الخليج ، والضلع جنوبى فى مواجهة مدينة الفسطاط ، أما الضلع الشمالى فكان فى مواجهة السهل الرملى .

وينسب إلى الوزير " بدر الدين الجمالى " سور ثان أقيم فى الفترة من ٤٨٠-٤٨٦ هـ / ١٠٨٧-١٠٩٣ م ، ليحيط بالزياداتالتى لأضيفت للقاهرة فى الجهتين البحرية والقبلية . وكان هذا السور من اللبن وأبوابه من الحجارة [٤٣]. ومازال يوجد منه جزء قائم حتى يومنا هذا.

---

38 عبد الرحمن محمود ، المرجع السابق ، ص ١٨٥.

39 ابن دقماق، الإنتصار بواسطة عق الأمصار، ج ٥، القاهرة ١٩٨٣م ، ص ٣٦.

40 المقريزى، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٦١.

41 سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون فى دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص٣٧٠

42 ياقوت الحموى، معجم البلدن، ج ٤ ، ص ٦٩٤.

43 نعمت علام، المرجع السابق، ص ١٠٩.

وقد بقى من عمارة بدر الجمالى ثلاثة أبواب أثرية هامة هى باب النصر وباب الفتوح فى شمال القاهرة وباب زويلة فى جنوب القاهرة ، إضافة إلى السور الذى يصل بين باب النصر وباب الفتوح ، وكانت هذه الأبواب ضمن الثمانى بوابات السالف ذكرها، كانت تتحكم فى الدخول والخروج للمدينة[٤٤].

وتشكل أبواب القاهرة الفاطمية أهمية خاصة فى مجال العمارة الحربية ، نظرا لما يتجلى بها من تصميم هندسى ومتانة فى الإنشاء ، فهى أبواب ضخمة مشيدة من الحجر المصقول من أحجار كبيرة ، مدعمة بأعمدة حجرية تتخلل البناء مع استخدام مادة الآجر خاصة فى تغطية الأجزاء المعمارة بها ، إضافة إلى الحرص على زخرفتها معماريا ، فجاءت تحمل من العناصر المعمارية والزخرفية ماهو جديد على العمارة الإسلامية فى مصر ، بحيث لا يضارعها أبواب أثرية أخرى فى العالم[٤٥]. كما أنها تعبر عن الهيبة والعظمة لذلك العصر ، ويظهر فى تصميمها أثر العمارة الأجنبية إذ وضع تصميمها ثلاثة إخوة من المهندسين قدموا من أرمينيا .

ويبدو الضخامة فى هذه الأبواب وضحت فى المساحة التى تشغلها كل بوابة ، وهى حوالى خمسة وعشرين مترا مربعا ، أو من حيث إرتفاعها الذى يزيد عن عشرين مترا ،أو من حيث الكتل الحجرية التى أستخدمت فى بنائها ، وقد جلب الكثير منها من الآثار الفرعونية ، وواضح بها الآن الكتابة الفرعونية القديمة[٤٦].(شكل رقم٣)

باب النصر

تعد بوابة النصر أول بوابة أقامها بدر الجمالى فى الأسوار الجديدة ، وقد شرع فى البناء فيها عام ٤٨٠ هـ - ١٠٨٧ م[٤٧] . وهى عبارة عن كتلة ضخمة من البناء يبلغ طول واجهتها ٢٥ مترا وإرتفاعها ٢٥ مترا عر مستوى العتب السفلى للباب ، ويبلغ عمق المرور من القطاع الخارجى إلى القطاع الداخلى فيها ٢٠ مترا ، وتبرز هذه الكتلة المعمارية لباب النصر عن سمت السور الشمالى ٤،٧٠ مترا ومن الداخل ٩،٩٣ مترا[٤٨]، ويعتمد فى تخطيطه على برجينكبيرين خارج السور ، تتوسطهما رحبة المدخل، مسقطهما على شكل مربع ٨،٢٥ مترا ، ويتحكم فى الدخول والخروج باب خشبى مصفح من مصراعين ، البرجان مصمتان إلى ثلثيهما ويشغل الثلث العلوى لكل

---

[44] رأفت محمد محمد النبراوى،الأثار الإسلامية، العمارة والفنون والنقود، المعهد العالى للدراسات الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٨م ، ص ١٦١.

[45] نفس المرجع، نفس الصفحة، لمزيد من التفاصيل أنظر توفيق أحمد عبد الجواد، المرجع السابق، ص ١٤٧.

[46] أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص ٦٢٤.

[47] عبد الله كامل موسى، الفاطميون وآثارهم المعمارية، دار الآفاق العربية، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٥٦

[48] محمد عبد الستار عثمان، العمارة الفطمية، المرجع السابق، ص ٩٤.

برج حجرة دفاعية بها فتحات لرمى السهام وتغطيها قبة ضحلة من الحجر مناطق إنتقالها من المثلثات الكروية ، ويتم الوصول إلى هذا الطابق من خلال سلم خلفى تلتف درجاته على عمود حجرى مغطى بقبو صاعد ، ويصل بين البرجين الدفاعيين ممر فوق كتلة فتحة المدخل ، بأرضيته فتحات غائرة لصب المواد الكاوية أو إلقاء مواد صلبة على المقتحمين[٤٩] .(أشكال ٤، ٥ ، ٦ ، ٧)

يعلو البوابة عقد محصور فى إطار زخرفى مستطيل مكون من ثلاث عشر صنجة معشقة بعضها على هيئة أوراق نباتية محورة[٥٠] . وتتوسط هذا العقد لوحة حجرية نقشت عليها أربعة أسطر كتابية بالخط الكوفى يقرأ فيها " لاإله إلا الله وحده لا شريك له ،محمد رسول الله ، على ولى الله صلى الله عليهم وعلى الأئمة من ذريتهما أجمعين " . وقد وضعت هذه اللوحة فوق عقد عاتق يعلو نفيسا يخفف الضغط على عتبتين مستطيليتين من الحجارة مدتا أفقيا من تحته أعلى الباب ، وتتكون هاتان العتبتان من صنج معشقة فى شكل زخرفى بديع وهما أقدم أمثلة معروفة لتجميع الصنجالمعشقة فى عمارة القاهرة[٥١]، يصعد إلى أعلى البوابة من خلال سلم حجرى يعد الأول من نوعه فى العمارة الفاطمية .

كما يعلو دخلة الباب إزار من الكتابات الكوفية يمتد بطول الواجهة ، يعلوه كورنيش حجرى يمتد هو الآخربطول الواجهة ،محمول على سبعة عشر كابولى من الحجر يزخرف واجهة كل منها ورقة نباتية بارزة ،بينما زخرفت واجهة الكورنيش بشريط من الأشكال البيضاوية البارزة المتراصة ،وتحصر الكوابيل فيما بينها حشوات مربعة ،يزخرف واجهات بعضها أشكال زجزاجية ،وبعض آخر زخرفت واجهاته بأشكال معينات،فى حين زخرفت واجهات البعض بأشكال سداسية بارزة[٥٢] . وتبلغ سعة فتحة البوابة حوالى خمسة أمتار،يغلق عليها باب خشبى مصفح ويعلوها عتب مزرر،وهو المثل الأول من نوعه فى تجميع الصنج المعشقة فى العمارة الإسلامية فى مصر.

ويختلف شكل البرجان عن شكل برجى باب الفتوح وبرجى باب زويلة ، حيث أن تلك الأبراج بنيت بهيئة مقوسة ، ولا شك أن الأبراج المتوسطة فى هيئة نصف مستديرة أو ثلاثة أرباع الدائرة تتميز فى إطار التخطيط الحربى عن الأبراج ذات

---

[49] رأفت النبراوى، اللآثار الإسلامية، المرجع السابق، ص١٦٢.

[50] زاهى حواس، باب النصر، مركز تسجيل الآثار الإسلامية والقبطية، أثر رقم ٧، المجلس الأعلى للآثار، بدون سنة طبع، ص ١١

[51] أسامة طلعت عبد النعيم، ملامح تخطيط المدخل المنكسر فى العمارة الدفاعية بين مصر والغرب الإسلامى فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (١١-٢٣)م ، ضمن أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة، ١٩٩٩م ، ص ص ٣٢٤-٣٢٥.

[52] زاهى حواس، المرجع السابق، نفس الصفحة.

الزوايا القائمة حيث إن الأبراج المقوسة يكشف المدافعون من خلال فتحات المراقبة أو الرمى بها أكبر مساحة ممكنة وهو مالا تتيحه الأبراج ذات الزوايا القائمة حين إن هذه الزوايا تحجب رؤية كل جانب عن المنطقة المواجهة للجانب الآخر المجاور له ، هذا بالإضافة إلى أن الشكل الجمالى للأبراج المقوسة يفوق الأبراج المربعة المسقط[٥٣]

وقد وصف المقريزى فى كتابه الخطط الجزء الأول ، أن إثنين من الأبواب كانت تشتمل فى الأصل على "باشورة" أو "عطف" ، وهذان البابان هما: باب النصر وباب الفتوح فقد عرف المقريزى الباشورة ضمنا أثناء ذكره لباب زويلة فقال " فلما كان فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى أمير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر بالله باب زويلة الكبير الذى هو باق إلى الآن وعلى أبراجه ولم يعمل له باشورة كما هى عادة أبواب الحصون من أن يكون فى كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر فى وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة لكنه عمل فى بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة إذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل[٥٤] .

كما يؤكد المقريزى عن باب النصر مانصه: " فلما كان أيام المستنصر وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وتقلد وزارته وعمر سور القاهرة نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث هو الآن فصار قريبا من مصلى العيد وجعل له باشورة ، أدركت بعضها إلى أن احتفرت أخت الملك الظاهر برقوق الصهريج السبيل تجاه باب النصر فهدمته وأقامت السبيل مكانه[٥٥].

وقد أعتبر باب النصر هو الباب التجارى لمدينة القاهرة فكانت قوافل التجار تمر خلاله ويحصل منها على الضرائب ولم يكن يصلح لهذا باب الفتوح الذى يفتح على القصبة العظمى للقاهرة مباشرة وهو الشارع الممتد من باب الفتوح شمالا إلى باب زويلة جنوبا مارا بمدينة القاهرة ،لهذا فقد كانت تمر فيه المواكب السلطانية ، أما باب النصر فقد كان يفتح على شارع يمتد من الشمال للجنوب ثم ينثنى غربا ليتصل بالقصبة الكبرى بواسطة شارع الضبية الذى يصل شارع باب النصر بشارع المعز [٥٦]

وما زالت بوابة النصر تحتفظ بوجود مرسومين بخط النسخ على يمين الداخل لتحديد وتنظيم عملية الدخول والخروج من وإلى القاهرة .

---

53 محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص ٩٥.
لمزيد من التفاصيل، راجع ، زاهى حواس، باب النصر، المرجع السابق
54 المقريزى، الخطط، ج١ ، ص ٣٨٠.
55 نفس المصدر، ص ٣٨١.
56 عبد الرحمد محمود، المرجع السابق، ص١٨٦.

باب الفتوح

تختلف هذها البوابة عن بوابة النصر فى تصميم برجيها أو بدنتيها ، حيث جاء تصميم برجى باب الفتوح على هيئة مستديرة وليست مربعة ، كما تختلف بوابة الفتوح أيضا من حيث نظامها الداخلى وبوابة النصر ، ويصل البوابتين طريق على سطح السور فى الطابق الثالث على جانبيه شرفات حربية ، كما يصل بين البابين أيضا ممر أو دهليز مقبى ويجرى على سطح الطابق الثانى الذى فتحت به فتحات لرمى السهام . يزين واجهة كل برج بارز من الخارج هيئة عقد نصف دائرى يصل حتى قمة الطابق الثانى المصمت وكذلك على جانبيه ، أما داخل البرجين فيلاحظ وجود عق فى كل ناحية ذو صنجة على شكل وسائد متماسكة تظهر لأول مرة فى العمارة الإسلامية بمصر . ويبلغ طول أطراف الواجهة ثلاثة وعشرين مترا ، ويقرب إرتفاعها من ذلك، كما يبلغ طول ممرها من الطرف الخارجى فى الواجهة الشمالية إلى الطرف الداخلى فى الواجهة الجنوبية خمسة وعشرون مترا . كما تبلغ مساحة الفضاء بين البرجين فى كلا الطرفين سبعة أمتار ونصف المتر ووتقارب الجدران أمام الداخل من جهة الشمال حتى تضيق فتحة البوابة كما هو الحال فى باب النصر ،. ويشير المقريزى إلى أن باب الفتوح كانت له "باشورة" أيضا بنفس الشكل الذى كان عليه تخطيط باب النصر ، وقد ذكر أن هذه الباشورة كانت قائمة فى عهده . وقد تهدمت هذه الباشورة ولم يعد لها أثر وربما كان ذلك بسبب إزدياد العمران . (أشكال ٨، ٩ ،١٠ ،١١ ، ١٢)

أنشئ باب الفتوح فى نفس السنة التى شيد فيها باب النصر ، وهناك نص يشير إلى تسمية هذا الباب بباب الإقبال ، وأيضا باب العز ثم إسم باب التوفيق ، وهذه الأسماء أطلقها بدر الجمالى على الأبواب التى أنشأها فى أسواره مقابلة لأبواب الفتوح والنصر والبرقية وجميعها كتبت ضمن شريط كتابى نفذ على السور الشمالى فى المسافة المحصورة بين البرج الشرقى لباب الفتوح وبروز المئذنة الشمالية لجامع الحاكم بأمر الله .

وفتحة مدخل البوابة مزودة بباب خشبى سميك من مصراعين مصفح بالحديد ، يؤدى إلى مساحة مابين البرجين من الداخل على هيئة دركاة مغطاة بقبة حجرية ضحلة مناطق إنتقالها من المثلثات الكروية ، يكتنفها من الجانبين دخلتان عميقتان ، يغطى كل منهما قبو نصف دائرى ، وتشرف على داخل المدينة بواسطة عقد كبير نصف دائرى، يعلو كل برج من البرجين حجرة دفاعية تشغل مساحة المثلث العلوى ، وبصدر هذه الحجرة ثلاث فتحات لرمى السهام ، وفى الجانبين يتماثل فتحتان . أما الحجرة الشرقية فيغطيها أيضا قبو متقاطع بمركزه صرة مستديرة ، بداخلها نجمة سداسية وبها أيضا فتحات للسهام " مزاغل " ويتميز الجزء الشمالى بصفين من السقاطات الأول به ثلاث فتحات معدة لصب المواد الملتهبة أو الكاوية من خلال مستويين ، والثانى به خمس

فتحات نافذة عموديا ربما لإلقاء الأحجار أو المواد الصلبة الأخرى فى حالة الهجوم أو إقتحام البوابة من المهاجمين[٥٧] .

يتقدم أعلى واجهة البناء الذى يعلو فتحة الباب عقد نصف دائرى ذو حافة عريضة مشطوفة تزخرفها معينات غائرة ، تملؤها زخارف نباتية وهندسية تعكس تأثيرا فى مجال الزخرفة جاء مع الفاطميين من تونس . كما يلاحظ الإهتمام بالشكل الجمالى فى تشكيل عناصر هذه البوابة ، ونلحظ ذلك فى الشكل المقوس للبرجين ، كما يلاحظ التشكيل الجمالى أيضا فى عقدى الدخلتين على جانب الممر المؤدى إلى الباب، وكذلك فى تشكيل العقد نصف المستدير المشطوف ذى الحافة العريضة ذات المعينات التى تكسوها الزخارف النباتية والهندسية الجميلة التى نقشت فى الحجر نقشا غائرا[٥٨] .

باب زويلة

أنشئت هذه البوابة سنة ٤٨٥ هـ - ١٠٩٢ م وتعد آخر بوابات بدر الجمالى الباقية تاريخيا ، وكانت أمامها زلاقة كبيرة ، ويخبرنا المقريزى عن ضخامة الأحجار بهذه الزلاقة فيقول " إنه لما ابتنى الأمير جمال الدين يوسف الإستادار المسجد المقابل لباب زويلة وجعله بإسم الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ظهر عند حفرة الصهريج الذى به بعض هذه الزلاقة وأخرج منها حجارة من صوان لا تعمل فيها العدة الماضية وأشكالها فى غاية الكبر لا يستطيع جرها إلا أربعة رؤس بقر فأخذ الأمير جمال الدين منها شيئا وإلى الآنحجر منها ملقى تجاه قبو الخرتشف . وقد تغيرت بعض مظاهرها فى عهد السلطان الأيوبى الملك الكامل ، وأورد المقريزى " وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير هدم أعلاهما الملك المؤيد عندما أنشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البدنتين منارتين " (٥٩)[٥٩] . (شكل ١٣، ١٤)

وتشغل هذا الباب مساحة مربعة الشكل ، تتكون من برجين مسقطهما نصف دائرى يشبه مسقط برجى باب الفتوح ويتوسطهما كتلة المدخل يشاهد من الخارج فى أعلى البرجين دخلة معقودة بعقد مدبب تدبيبا خفيفا ، تنتهى فى أسفل بإفريز حجرى بارز جهة اليمين وجهة اليسار ، تحته ثلاثة مزاغل لرمى السهام ، يعلوهما صف من الشرفات ، يلاحظ وجود دخلتين على جانبى البرجين ناحية دهليز المدخل ، ويحددهما من أعلى عقد مدبب مزدوج تحته عقد ثلاثى إطاره مفصص به صرة مزخرفة بزخارف هندسية أسفل صنجته المفتاحية ، ويعلوهما نافذة معقودة تكتنف الممر المطل على الرحبة المكشوفة ، حيث تتبع هذه النافذة حجرة الممر العلوى الذى يصل بين

---

57 رأفت النبراوى ، المرجع السابق، ص ص ١٦٤-١٦٥.

58 محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص ص١٠٤-١٠٥.

59 المقريزى، المرجع السابق، ص٣٨١.

البرجين ، يعلو فتحة المدخل من الخارج عقد كبير مدبب فوقه عتب مزرر ، يتقدمه عقد آخر مدبب ذو إطار مدبب أيضا (٦٠)[60] .

كما يؤدى هذا المدخل إلى دركاة بقبة حجرية مناطق انتقالها من أشكال المثلثات الكروية يكتنفها من الناحيتين دخلة عميقة محفوفة الشكل ويغطيها نصف قبو يرتكز على عقدين ثلاثيين ، واحد فى كل جانب ولكل منهم طاقية إشعاعية . أما الضلع الشمالى الغربى لهذه الدركاة ، فقد إستغله السلطان المؤيد شيخ ، وفتح به مجلس لجلوس السلطان لمشاهدة المواكب والقوافل خلال دخولهما وخروجهما من هذه البوابة[61] .

تتميز هذه البوابة بتاريخها إذ دخل الخليفه المعز لدين الله من بابى زويلة القديم عندما قدم إلى مصر من خلافته الفاطميمة بتونس ، وكان الباب يشتمل على فتحتين معقودتين فقد دخل من الفتحة اليمنى ، ويبدو أن ذلك فى إطار التوجيه الإسلامى للرسول صلى الله عليه وسلم " تيامنو " فتفاءل الناس واستعملوا هذه الفتحة التى عرفت بباب القوس (٦٢)[62] .

وقد ذكر المقريزى " وقد أخبرنى من طاف البلاد ورأى مدن المشرق لم يشاهد فى مدينة من المدائن عظم باب زويلة ولا يرى مثل بدنتيه اللتين عن جانبين ومن تأمل الأسطر التى كتبت أعلاه من خارجه فإنه يجد فيها إسم أمير الجيوش والخليفى المستنصر وتاريخ بنائه " (٦٣)[63] .

كما تحدث الدكتور محمد الكحلاوى فى كتابه آثار مصر الإسلامية ، عن الرحالة العبدرى الذر زار القاهرة فى نهاية القرن السابع الهجرى فكان من أكثر الرحالة المغاربة نقدا ، فوصف القاهرة ومبانيها فقال " خرجت عمارتها عن الحد المعروف ، وزادت عن القدر المألوف " ثم شمل وصفة أرض مصر بشكل عام فقال " وما أرض مصر ونيلها وعجائبها وخصبها واتساعها فأكثر من أن يحصرها كتاب ويحيط بها حساب (٦٤)[64] .

وهكذا ظهرت العمارة الفاطمية عسكرية الطابع ، وأبدعت فى نماذجها الزخرفية التى كثرت باستخدام الكائنات الحية من آدمية وحيوانية فى الزخارف ، فمع بداية العمارة الفاطمية فى المغرب ظهرت رسوم الحيوان على أبواب الحديد الضخمة فى مدينة المهدية التونسية . أما جدران باب النصر فقد اكتفى فيها بنقش صور لبعض

---

60 رأفت النبراوى، المرجع السابق، ص ١٦٥.

61 نفس المرجع، ص١٦٦.

62 محمد عبد الستار عثمان ، المرجع السابق، ص ص ١٢٤-١٢٥.

63 المقريزى، المصدر السابق، ص ٣٨١.

64 محمد محمد الكحلاوى، آثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م، ص ٢٧.

الآلات الحربية المستخدمة فى القتال . ويلاحظ فى تصميم سور القاهرة وبواباتها التأثر بأساليب عمارة المهدية إلى بعض التأثيرات البيزنطية ، حيث كان للفاطميين نشاط معمارى متميز فى عاصمتهم المهدية التى يشيدت بسور شاهق من الحجر الأبيض المدعم والمزود بأبراج وبوابات عظيمة ، وتدل آثار هذه العمائر على أن الفن الفاطمى فى شمال أفريقية كان متأثرا بالأسلوبين المغربى والأموى كما نلاحظ أوجه التشابه فى الأسلوب المعمارى الدفاعى ومسميات بوابات الأسوار.

الأشكال

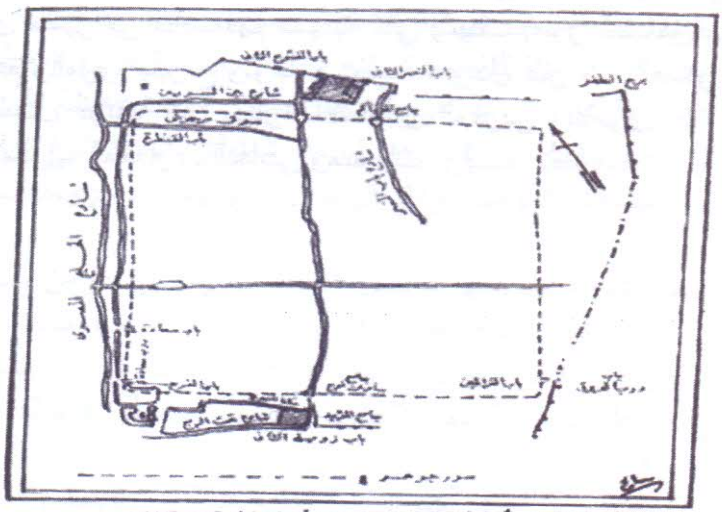

(شكل 1) تخطيط مدينة القاهرة وأسوارها في العصر الفاطمي

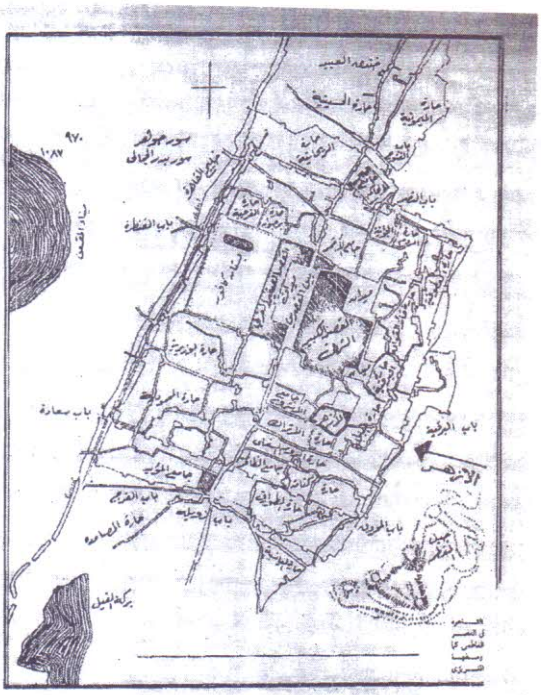

شكل (٢) خريطة لمدينة القاهرة في العصر الفاطمي، عن الأزهر في عيده الألفي.

٢١٠

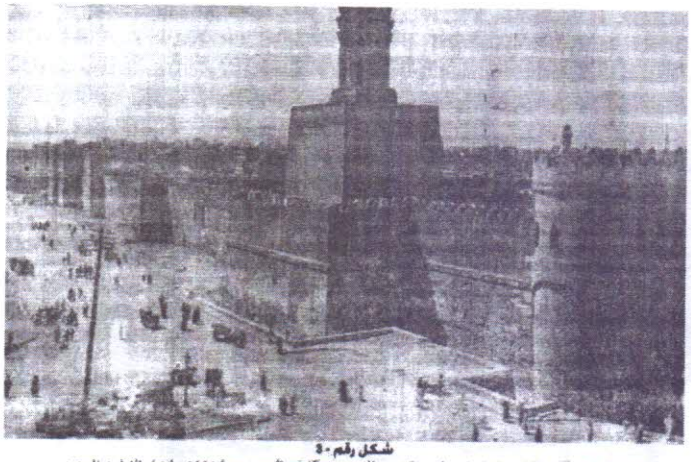

شكل رقم ٣٠
الضلع الشمالي لسور القاهرة فيما بين بوابتي الفتوح والنصر بعد كشف السور سنة ١٩٤٥ وانشاء الشارع المستحد

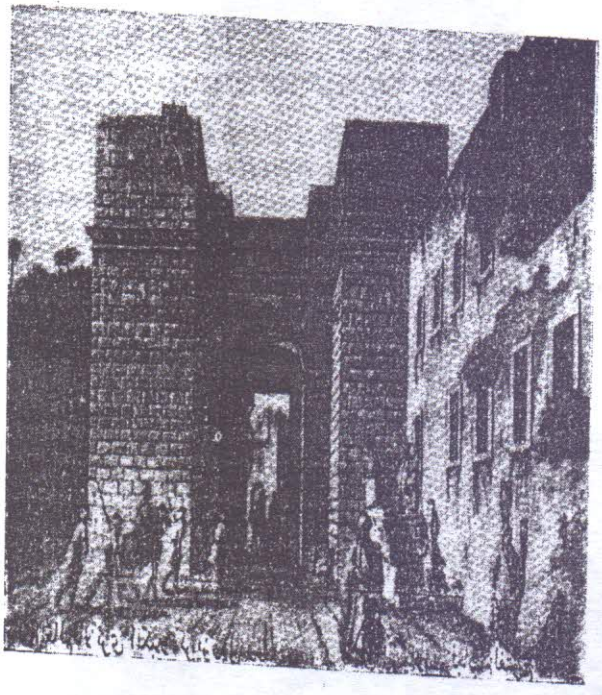

شكل رقم – 4 رسم باب النصر فى زمن المستشرق الإنجليزى السير روبرت إنسل فى أول القرن ١٩

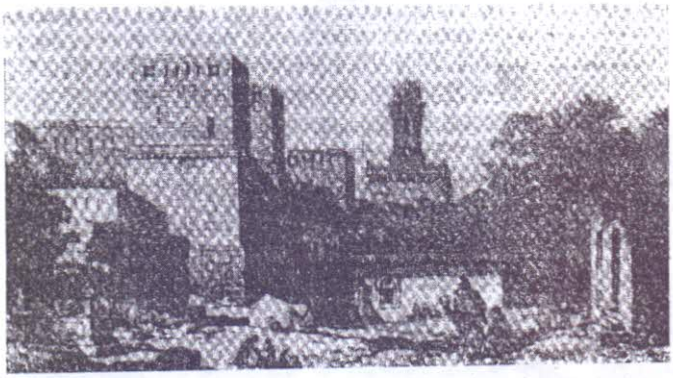

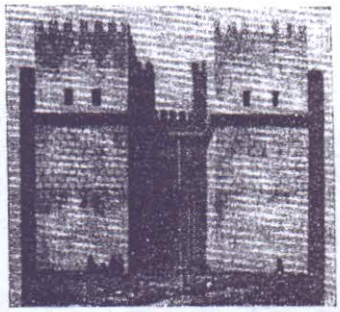

رسم باب النصر فى أواخر القرن ١٨ كما نقله المستشرق الفرنسى «مارسيل Marcel» بتاريخ لاحق

رسم باب النصر فى زمن المستشرق الإنجليزى السير روبرت إنسل فى أول القرن ١٩

شكل رقم 7 رسم باب الفتوح فى ذيل فرمانتيير (القرن ١٨)

٢١

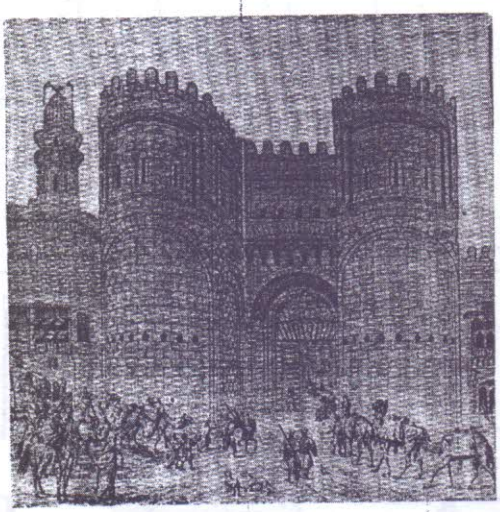

باب الفتوح كما رسمها المهندس المعمارى الفرنسى باسكال كوست P. Coste فى مرجعه النادر
Architecture Arabe ou Monuments du Kaire
سنة ١٨٣٧

شكل رقم - 9

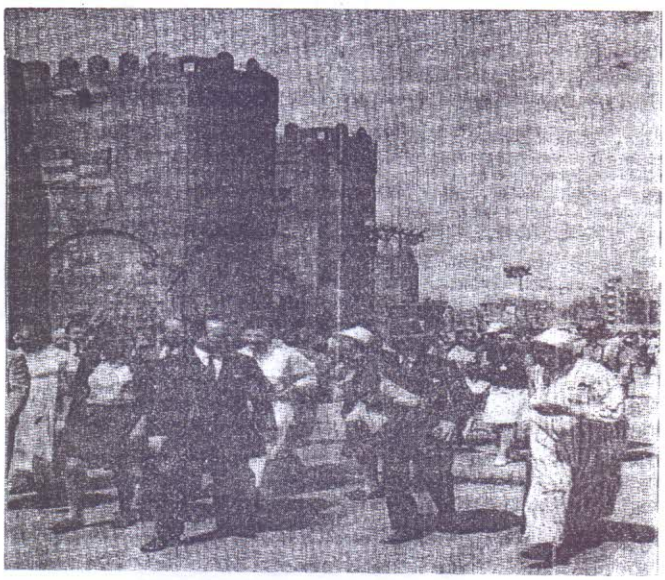

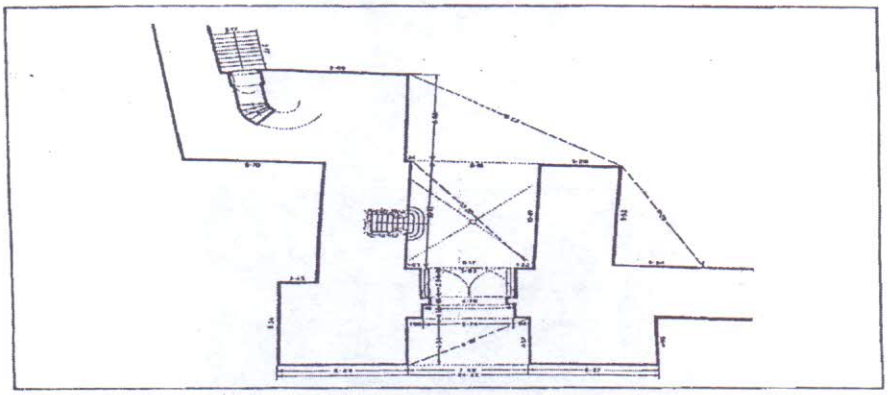

شكل (١١) باب النصر، مسقط عن كريزويل

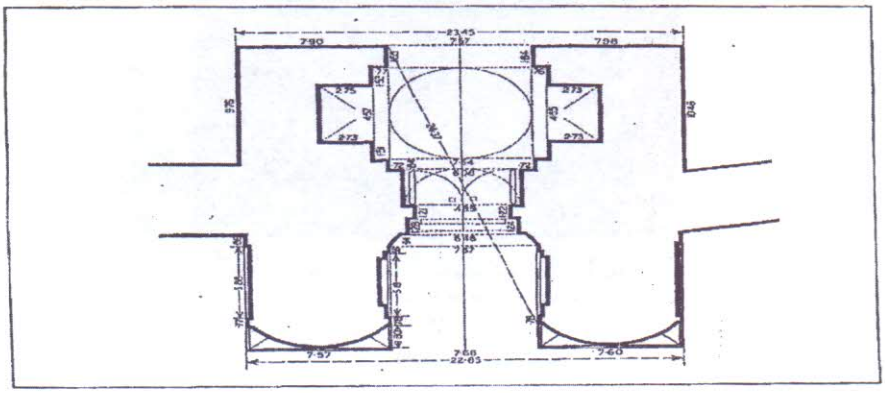

باب الفتوح، مسقط أفقى عن كريزويل

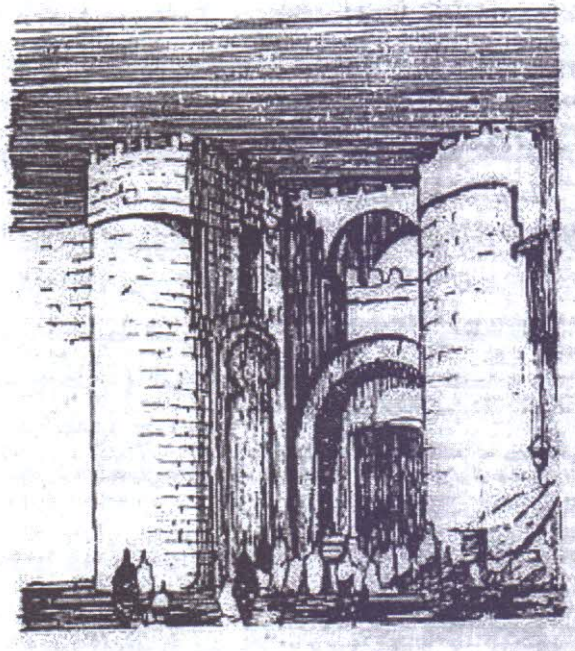

(شكل ١٣) مدخل باب زويلة

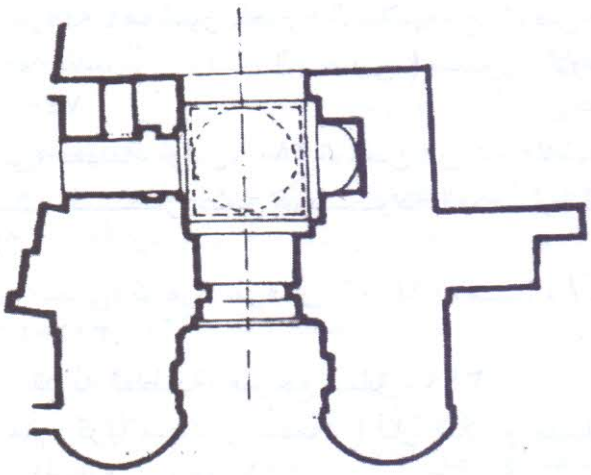

(شكل 14) المسقط الأفقي لباب زويلة

هوامش البحث:

١- نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية ، ط ٥ ، دار المعارف ، بدون سنة طبع ، ص ١٠٧.

٢- أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية فى مصر، تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، ط١٩٩٢١، ص ص٧٤-٧٥

٣- بتر فارب، بنو الإنسان، ترجمة زهير الكرمى-سلسلةعالم المعرفة، الكويت، م١٩٨٠، ص١٣٠.

٤- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٨٨، ص ١٢٢.

٥- صديق شهاب الدين، تخطيط المدن وتاريخ الحصون، مجلة العمارة، م١٩٣٩.

٦- المقريزى (أحمد بن على) الموعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون سنة طبع، ج ١، ص ٣٦١.

٧- توفيق أحمد عبد الجواد، العمارة الإسلامية فكر وحضارة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م ، ص ١٧٧.

٨- على عامر، مجلة دنيا العرب، تونس، عدد ٢٠٠٩/٣/٢٧م.

٩- البكرى،(أبو عبد الله بن عبد العزيز) المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م ، ج ٢، ص٦٧٩.

١٠- ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، تورنبرج، ج ٨، ص ص ٩٤-٩٥.

١١- كونل، الفن الإسلامى، ترجمة أحمد موسى، بيروت، ١٩٦٩ م ، ص ص٢٤-٥٠. وقارن ، جورج مارسيه ، مختصر العمارة الإسلامية، ج ١، ص ص ٤٧-٤٩.

١٢- ابن حوقل، (أبو القاسم بن حوقل النصيبى) صورة الأرض، بيروت، ١٩٧٩م ، ص ص ٧٣-٧٤.

١٣- محمد المرزوقى، المهدية، تونس، ١٩٨٠م، ص ص ٢٥-٢٧.

١٤- محمد عبد الستار عثمان،موسوعة العمارة الفاطمية،دار القاهرة،٢٠١٢م،ص٢٤

١٥- التجانى، رحلة التجانى، تونس، طرابلس ٦٠٦/٧٠٨هـ ، / ليبيا، تونس ١٩٨٢م، ص ص ٣٢٠-٣٢٢.

١٦- أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية، المرجع السابق، ٣٨٨.

١٧- القزوينى (الإمام زكريا محمد بن محمود) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، بدون سنة طبع ، ص ١٥٨.

١٨- حسن حسنى عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠١م ، ص ٧٦.

١٩- حسين محمد صالح، أحمد حسين عمر، هندسة المبانى والإنشاءات، ط ١، مطبعة الإتحاد، القاهرة ١٩٣٨م، ص ١٠٣.
٢٠- ياقوت الحموى، معجم البلدان، المصدر السابق، ص ٢٣.
٢١- التجانى، المرجع السابق، صص ٣٢٢ ومابعدها.
22- Marcais (Georges) Manuel Art Musulman, Tunisie, Alge`rie, Maroc, Espagnee, Sicile. V.I Paris 1926, p. 132 .
٢٣- عبدالرحمن محمود عبد التواب،دراسات وبحوث فى الآثار والحضارة الإسلامية،ج، القاهرة،١٩٨٣م،ص ٣٦.
٢٤- ابن دقماق،الإنتصار بواسطة عق الأمصار،ج ٥،القاهرة ١٩٨٣م،ص ٣٦.
٢٥- المقريزى،الخطط،ج ١،ص ٣٦١.
٢٦- سعد زغلول عبد الحميد،العمارة والفنون فى دولة الإسلام،منشأة المعارف، الإسكندرية،١٩٨٦م،ص ٣٧٠.
٢٧- ياقوت الحموى،معجم البلدن،ج٤،ص ٦٩٤. نعمت علام،المرجع السابق،ص١٠٩.
٢٨- رأفت محمد محمد النبراوى،الآثار الإسلامية، العمارة والفنون والنقود، المعهد العالى للدراسات الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٨م ، ص ١٦١.
٢٩- عبد الله كامل موسى، الفاطميون وآثارهم المعمارية، دار الآفاق العربية، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٥٦
٣٠- محمد عبد الستار عثمان، العمارة الفاطمية، المرجع السابق، ص ٩٤.
٣١- رأفت النبراوى، لآثار الإسلامية، المرجع السابق، ص١٦٢.
٣٢- زاهى حواس، باب النصر، مركز تسجيل الآثار الإسلامية والقبطية، أثر رقم ٧، المجلس الأعلى للآثار، بدون سنة طبع، ص ١١.
٣٣- أسامة طلعت عبد النعيم، ملامح تخطيط المدخل المنكسر فى العمارة الدفاعية بين مصر والغرب الإسلامى فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (١١-٢٣)م ، ضمن أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة، ١٩٩٩م ، ص ص ٣٢٤-٣٢٥.
محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص ٩٥. لمزيد من التفاصيل، راجع ، زاهى حواس، باب النصر، المرجع السابق.
٣٤- المقريزى، الخطط، ج١ ، ص ٣٨٠. نفس المصدر، ص ٣٨١. عبد الرحمد محمود، المرجع السابق، ص١٨٦.
٣٥- محمد محمد الكحلاوى، آثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م، ص ٢٧.

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، تورنبرج، ج ٨،.
٢- ابن حوقل، (أبو القاسم بن حوقل النصيبى) صورة الأرض، بيروت، ١٩٧٩م
٣- ابن دقماق، الإنتصار بواسطة عق الأمصار، ج ٥، القاهرة ١٩٨٣م .
٣- البكرى،(أبو عبد الله بن عبد العزيز) المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م ، ج ٢
٥- التجانى، رحلة التجانى، تونس، طرابلس ٧٠٨/٦٠٦هـ ، / ليبيا، تونس ١٩٨٢م.
٦- القزوينى (الإمام زكريا محمد بن محمود) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، بدون سنة طبع
٧- كونل، الفن الإسلامى، ترجمة أحمد موسى، بيروت، ١٩٦٩ م
٨- المقريزى (أحمد بن على) الموعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون سنة طبع، ج ١
١٠- ياقوت الحموى، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ج ٤- ٥ .
١١- أسامة طلعت عبد النعيم، ملامح تخطيط المدخل المنكسر فى العمارة الدفاعية بين مصر والغرب الإسلامى فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (١١-٢٣)م ، ضمن أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة، ١٩٩٩م ،
١٢- أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية فى مصر، تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، ط١٩٩٢١
١٣- بتر فارب، بنو الإنسان، ترجمة زهير الكرمى-سلسلةعالم المعرفة، الكويت، م١٩٨٠.
١٤- توفيق أحمد عبد الجواد، العمارة الإسلامية فكر وحضارة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م
١٥- حسن حسنى عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠١م ،
١٦- حسين محمد صالح، أحمد حسين عمر، هندسة المبانى والإنشاءات، ط ١، مطبعة الإتحاد، القاهرة ١٩٣٨م
١٧- رأفت محمد محمد النبراوى،الآثار الإسلامية، العمارة والفنون والنقود، المعهد العالى للدراسات الإسلامية،
١٨- زاهى حواس، باب النصر، مركز تسجيل الآثار الإسلامية والقبطية، أثر رقم ٧، المجلس الأعلى للآثار، بدون سنة طبع.
١٩- سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون فى دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٦م.
٢٠- صديق شهاب الدين، تخطيط المدن وتاريخ الحصون، مجلة العمارة، م١٩٣٩.

٢١- عبد الرحمن محمود عبد التواب، دراسات وبحوث فى الآثار والحضارة الإسلامية، ج ، القاهرة،١٩٨٣م،

٢٢- عبد الله كامل موسى، الفاطميون وآثارهم المعمارية، دار الآفاق العربية، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م،

٢٣- على عامر، مجلة دنيا العرب، تونس، عدد ٢٠٠٩/٣/٢٧م.

٢٤- محمد المرزوقى، المهدية، تونس، ١٩٨٠م، ٢٠١٢م.

٣٥- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٨٨.

٣٦- محمد عبد الستار عثمان، موسوعة العمارة الفاطمية، دار القاهرة، ٢٠١٢م.

٣٧- محمد محمد الكحلاوى، آثار مصر الإسلامية فى كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م.

٣٨- نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية ، ط ٥ ، دار المعارف ، بدون سنة طبع.

Marcais (Georges) Manuel Art Musulman, Tunisie, Alge`rie, Maroc, Espagnee,- 39 Sicile. V.I Paris 1926, p. 132 .